البحث (٦)

الإسلام وفلسفة العلم النظرية

أ . د / أحمد عبد الحميد الشاعر

أستاذ العقيدة والفلسفة

هذا البحث :

يقدم – بعون الله تعالي – رؤية إسلامية جديدة في " فلسفة العلم " تتضح بصفة خاصة فيما يتعلق بمفهوم العلم وبنياته ، وموقع العوم الاجتماعية والإنسانية وغيرها من فلسفة العلم . وما ينبغي أن يقوم به ذلك الفرع الجديد من الفلسفة المعاصرة في دفع وتوجيه البحث العلمي إلي مستقبل أفضل للإنسانية كلها .

بين يدي هذا البحث

إن فلسفة العلم أو " فلسفة العلوم " فرع جديد من فروع الفلسفة المعاصرة ، يعني – عناية تامة – بالبحث حول العلم ، وليس جزءاً منه، أي فيما وراء العلم من حيث نشأته ، ومبادئه ، وتطوره وتاريخه ومناهجه ، وآثاره في مختلف الجوانب المعرفية النفسية والأخلاقية والاجتماعية ، وغيرها مما ينعكس على الإنسان والبيئة المحيطة به ، وليس ذلك فحسب مما درج عليه المباحثون حتى الآن :

إن فلسفة العلوم – في تقديرنا – تؤثر تأثيراً مباشراً في دفع عجلة التقدم العلمي ، وتوجيه البحوث العلمية – كذلك – إلى الطريق الأقوم ، بما يفيد الإنسانية ويخدمها في مجالاتها السلوكية والأخلاقية والتربوية والنفسية الخ .

ومن الحق والخير أن نشير هنا – إلى هذه الأمور :

الأمر الأول : حدث في مساء الثلاثاء ٢٣ من صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ١٣ من أبريل ٢٠٠٤ م أن سعدت بحضور محاضرة عن " فلسفة العلم والتقنية بنظرة إسلامية " للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ، وكان ذلك بمركز الدراسات المعرفية بالزمالك – وهذا المركز " فرع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن ، وكان من المقر أن يقوم الأستاذ الدكتور . رفعت العوضي المستشار الأكاديمي للمركز وأستاذ " الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر – بتقدم المحاضر وإدارة الحوار ولكني فوجئت به يطلبني إلى المنصة لأقوم بهذه المهمة بعد كلمته

الموجزة المعبرة عن المقدم ، والمقدم له . جزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء

والذي يهمني بعد ذلك ما أفدته من هذا اللقاء العلمي المبارك بصحبة الأستاذ الدكتور الباشا وهو رائد من رواد فلسفة العلوم وأستاذ الكيمياء بعلوم القاهرة مما تأكد لدي واستقر عندي في مجالين :

المجال الأول : أن العلوم الاجتماعية تدخل في إطار فلسفة العلم من أوسع الأبواب : من حيث مفهوم العلم – عندنا – من جانب ، ومن حيث تاريخ العلوم من جانب آخر ، وهذا عكس ما يجري عليه الباحثون في فلسفة العلوم حتى الآن حسبما نعلم . وسيتضح ذلك في ثنايا البحث ..

المجال الثاني : أن فلسفة العلوم لا يقف الاهتمام بها – عند حد الماضي من العلوم فحسب ، بل يمتد نشاطها إلي المستقبل ، وتوجيه البحث العلمي في مختلف العلوم إلي الطريق الأقوم ، ودفع عجلة التقدم العلمي إلي تحقيق الرخاء والسلم والسعادة للبشرية .

الأمر الثاني : أن هذا الفرع من الفلسفة المعاصرة لم يكن يدرس في جامعة الأزهر رغم أهميته القصوى ، لأبنائنا طلاب الفلسفة ، حتى أراد الله لصاحب هذا البحث – إبان فترة تحمله مسئولية قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية ، بالتعاون والتنسيق مع الأخ الصديق الأستاذ

الدكتور / عبد المعطي بيومي عميد كلية أصول الدين بالقاهرة – آنذاك – من أجل إنجاز هذه المهمة عن قناعة علمية تامة .

وقد أثمر هذا الجهد الجهيد – بفضل الله – أن قررت الجامعة (٢٠٠١ م) هذه المادة "العقيدة وفلسفة العلم" في مقررين:

الأول : لطلاب الفرقة الرابعة من قسم العقيدة والفلسفة .

والثاني:لطلاب الفرقة الثانية بالدراسات العليا/عقيدة وفلسفة

ويراودني الأمل أن تدرس هذه المادة لجميع الطلاب في جميع الأقسام والكليات لما لها من نفع عام للجميع ينعكس – إيجاباً – على تفكيرهم وتنوير عقولهم ، ودفع البحوث العلمية إلي المجالات الرحبة إسعاداً للإنسانية جميعها .

الأمر الثالث : شكر خاص لأخي وصديقي الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن المراكبي – أستاذ ورئيس القسم بالكلية ، حيث رغب هؤلاء الزملاء الكرام في أن أكتب في هذا الميدان بما يفيد طلابنا وغيرهم . وهذه رغبة عزيزة صادفت هوي في نفسي ، غير أني كنت آمل فسحة أوسع من الوقت لإنجازها . ومع ذلك توكلت على الله فكان ثمرة ذلك كتاب " الإسلام وفلسفة العلم بين النظرية والتطبيق " وقد شجعني في ذلك أن وجدت – بفضل الله – جديداً أضيفه إلي العلم في هذا الميدان .

الأمر الرابع : شكر خاص لأخي وصديقي الأستاذ الدكتور / حسن عبد الحميد – عميد الكلية على حسن ظنه في طلبه بحثاً

للحولية . فكان هذا البحث الذي أصوله من كتابنا مع بعض إضافات تناسب إبرازه في شكل خاص .

كلمة أخيره – هي في الحقيقة أولي – شكراً لله تعالي ، ثم شكراً لإخواني وزملائي ، وأحب أن انوه إلي أن هذه الأمور ليست شخصية بحتة – كما يبدو – ولكنها إشارات على طريق العلم ، وكان من ثمارها ذلك الجهد العلمي المتواضع ، وفي عزمنا وتقديرنا – إذا شاء الله تعالي وأنسأ في الأجل = أن نردف ذلك بكتاب خاص عن " فلسفة العلوم عند علماء المسلمين في التراث الإسلامي " ، ليكون مكملاً لهذا الجهد ومتمماً له بإذن الله تعالي .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ سورة هود

أ . د / أحمد عبد الحميد الشاعر
القاهرة – مدينة نصر – حي الزهور

الإسلام وفلسفة العلم النظرية

تحديد المفاهيم أولاً

- الإسلام – الفلسفة – العلم
- الإسلام وفلسفة العلم
- فلسفة العلم بين المنطق والفلسفة
- الفلسفة العلمية
- العلم وغير العلم
- علم العلم وفلسفة العلم
- تاريخ العلم ونشأة فلسفة العلم
- المعرفة العلمية وخصائص التفكير العلمي

تحديد المفاهيم أولاً

حينما نتعرض للحديث عن الإسلام وفلسفة العلم . . فإنه ينبغي أن نقوم – أولا – بتحديد المفاهيم لهذه الكلمات – أو المصطلحات – التي يتشكل منها هذا العنوان فتلك أولى أبجديات البحث العلمي،ومنهجيته مراعاة لأطراف النسبة في العنوان فماذا تعنى هذه الكلمات عندنا في مفرداتها أولا وفى جملتها ثانيا ؟

١ – الإسلام .

٢– الفلسفة .

٣ – العلم .

٤– فلسفة العلم .

٥ – الإسلام وفلسفة العلم .

إنه بصدد بيان هذه المفاهيم نقول وبالله التوفيق .

أولا : الإسلام :

الإسلام وحي الله الخالق إلى الإنسان المخلوق بل كلمة الله الخاتمة يهدى للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة فهو منهج إلهي ، رباني يوضح للإنسان معالم الطريق السوي للتفاعل والتعايش مع الحياة في جميع جوانبها . ابتداء من جوانبه الداخلية ، الفكرية والإرادية والوجدانية .. إلى جوانبه الخارجية ، الإنسانية والاجتماعية والطبيعية بأوسع معانيها ومعالمها : في الجماد والنبات والحيوان والبحار والأنهار والأفلاك والكواكب والنجوم الخ ....

ومن قبل ومن بعد يؤكد -بيقين- ما استقر في الإنسان من فطرة إيمانية نقية طاهرة ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

وفي هذا المجال نحب أن نؤكد على أمور أهمها :

الأمر الأول : أن الإسلام دين العلم النافع بأوسع معانيه [٢] . الدينية والإنسانية والاجتماعية والطبيعية الخ .

ذلك أن العلم عندنا دين ، ولا إسلام بغير علم ، والعلم الصحيح يهدى للإيمان وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

والقرآن الكريم – كتاب الإسلام المقدس – أول كتاب إلهي يفرض العلم على أتباعه فرضاً وحسبنا في هذه الإشارة أن احتفاء القرآن بالعلم والعلماء ليس وقفاً على العلوم الدينية وحدها بل إن كلمة "العلماء" التي وردت فيه إنما جاءت في سياق الحديث عن ظواهر كونيه ، هي- في نظرنا – إشارات تلفت نظر العقل إلى العلوم الطبيعية وذلك في قوله تعالى: في سورة " فاطر " وهي مكية ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

---

١ – سورة الروم آية : ٣٠ .

٢ – يراجع بالتفصيل الفصل الثاني " بين العلم والدين " ص ٢٧١ ، من الباب الثالث " قضايا التحدي " من كتابنا " الإسلام والفكر المادي الطبعة الثانية ١٩٨٦ القاهرة .

فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (١) .

وقد جاء في تفسير "جواهر القرآن " قوله .

" المحب يخشى المحبوب ويهابه ، والخشية أعلى لمقدار الكمال . فالحب والخشية متلازمان ، وكيف يحب الإنسان ما هان فى نظره ؟ وارتقاء المحبة يتبعها ارتقاء الخشية . ألا ترى أنك كلما ازددت من علم أحسست بروحانية تجذبك إليه ، وخشية تغشاك منه . وهذا قوله تعالى: " **إنما يخشى الله من عباده العلماء** " .

قال علماؤنا- رحمهم الله - إن شرط الخشية معرفة المخشي ، والعلم بصفاته وأفعاله . فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال – (ﷺ) – إني لأخشاكم لله وأتقاكم له "

ثم يقول : (إن الله عزيز) في ملكه وسلطانه يقهر من لا يخشى الله لغفلته عن صنعه (غفور) لمن تاب وخشي الله بعد الغفلة ، وذلك فتح لباب الرجاء " أ . هـ (٢) .

---

١ – سورة فاطر الآيتان ٢٧ ، ٢٨ . " جدد " أى ذات طرائق مختلفة الألوان و " غرابيب سود " أى متناهيه في السواد كالغربان .

٢ – جواهر القرآن للشيخ طنطاوي جوهري . المجلد التاسع ط ٢ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة .

الأمر الثاني : أن الإسلام يدعوا إلى استقلال الفكر وحرية الإرادة يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) . وقد قال (ﷺ) (٢) . : لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا " ومن هنا يرفض الإسلام التقليد الأعمى البغيض ، وينعى على المقلدين تقليدهم هذا يقول الله تعالى فى سورة البقرة وهى مدنية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

ويقول سبحانه : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٤) .

ومن هنا يوجب الإسلام التفكير الصحيح بالعقل السليم فهو أول دين إلهي يفرض الفكر على أتباعه فرضا. والقرآن الكريم

---

١ – سبأ مكية ، ٤٦ .

٢ – الترمذي ن كتاب البر والصلة باب ٦٣ .

٣ – سورة البقرة آية : ١٧٠ .

٤ – سورة الزخرف . مدنية : ٢٢ – ٢٤ .

مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ (١) .

ومن هنا يوجب الإسلام التفكير الصحيح بالعقل السليم فهو أول دين إلهي يفرض الفكر على أتباعه فرضا. والقرآن الكريم كثيرا ما يتوجه إلى العقلاء " أولى الألباب بقوله : أفلا يتفكرون ، أفلا يتدبرون ، أفلا يعقلون ، إن في ذلك لآيات لقوله يتفكرون . لآيات لأولى الألباب" أي العقلاء الخلص من الناس. وهكذا .....

الأمر الثالث : أن الإسلام دين العقل والعقلاء . لأن العقل أساس المسئولية والجزاء وإذا ما اختل العقل سقطت المسئولية من الحساب . ومن المعلوم أن العقل أساس النقل ، كما يقول الإمام الغزالي حجة الإسلام " العقل أساس والشرع بناء . ولن يقوم بناء بغير أساس . كما لن يغني أساس بغير بناء " (٢) .

ثانياً : الفلسفة :

لقد تعدد تعريف الفلسفة بتعدد المذاهب الفلسفية وأحيانا بتعدد الفلاسفة . وهي – عندنا – البحث عن الحقيقة بحثا عقليا حرا سواء كانت تلك الحقيقة في ذاتنا أم في العالم من حولنا. أي في الكون والحياة والإنسان . ولقد كانت الفلسفة- قديما – أد

---

١ – سورة الزخرف . مدنية : ٢٢ – ٢٤ .

٢ – يراجع في ذلك أيضاً كتابنا " مناهج البحث الخلقي في الفكر الإسلامي ط ١ سنة ١٩٧٩ الفصلان الأول والسادس وكتابنا " المعرفة في التصور الإسلامي .

غير أن الوضيعة المنطقية ترى أن الفلسفة ما هي إلا منهج لتحليل اللغة تحليلا منطقيا. فإذا كانت الكلمة اللغوية تعبر عن واقع محسوس فهي كلمة ذات مضمون ومدلول في الواقع مثل كلمات .- محمد . كتاب . أرض . سماء. الخ.....

وإن كانت الكلمة لا تعبر عن واقع محسوس فهي فارغة لا معنى لها مثل كلمة " الملائكة ".

ومن المفيد هنا أن نذكر ما جاء فى المعجم الفلسفي ١١١٤ تحت مادة "الوضعية" حيث يقول ١١١٤ - الوضعية .

مذهب (أوجست كونت) الذي يرى : أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية والمحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين ، والعلوم التجريبية هي المثل الأعلى لليقين . وعلى ذلك لا محل للبحث عن طبائع الأشياء ولا عن عللها الغائية .

والوضعية المنطقية. اتجاه فلسفي معاصر يعول أساسا على التجربة تحقيقا للدقة والتحليل المنطقي للغة العلماء، ولغة الحديث، ويعدها المصدر الوحيد للمعرفة وليس للعقل من عمل إلا مجرد تنسيق معطياتها وتنظيمها. ثم تحولت إلى دراسة تحليلية منطقية للغة العلم لتحقيق وحده مشتركة بين فروع العلم المختلفة [1] أ . د .

---

١ - المعجم الفلسفي ، ص ٢١٤ إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٩ م

ثالثاً : العلم :

جاء في المعجم الوسيط قوله : "العلم : إدراك الشيء بحقيقته واليقين ونور يقذفه الله في قلب من يحب ، والمعرفة وقيل : العلم يقال لإدراك الكلى والمركب والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط . ومن هنا يقال . عرفت الله دون علمته .

ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة.كعلم الكلام وعلم النحو وعلم الأرض ، وعلم الكونيات ، وعلم الآثار(ج) علوم . وعلوم العربية : العلوم المتعلقة باللغة العربية كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والنثر والخطابة وتسمي بعلم الأدب

ويطلق العلم حديثا على العلوم الطبيعة التى تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار سواء كانت أساسية كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا أو تطبيقية كالطب والهندسة والزراعة والبيطرة وما إليها [١] أ. هـ

والذي يعنينا هنا هذه المسائل :

الأولى : عن العلم والمعرفة .

الثانية : عن العلم باعتباره علَماً – على فرع معين من العلوم . أى عنواناً له

١- المعجم الوسيط : إصدار مجمع اللغة العربية القاهرة ص ٦٢٤ ط ٢ دار إحياء التراث بقطر .

الثالثة : عن ما يراد بالعلم في العصر الحديث . وبيانا لهذا كله نقول وبالله التوفيق .

المسالة الأولي : بين العلم والمعرفة

قد يطلق العلم ويراد به المعرفة فيكون مرادفا لها ويطلقان -حينئذ- على مطلق الإدراك .

ولكن التحقيق يجعل المعرفة قاصرة على الإدراك الجزئي البسيط للأشياء أما العلم فيكون للإدراك الكلى والمركب منها، ومن ثم نقول - في جنب الله تعالى - عرفت الله ولا نقول علمت الله- لأننا لا ندرك الذات الإلهية إدراكا كليا.

ومن هنا نفهم كيف أن الله تعالى يصف نفسه - في القرآن الكريم بالعلم وليس بالمعرفة . لأن علم الله بالأشياء علم كلي يقيني وكشف محيط بها ، وليس معرفة جزئية بها. والله سبحانه يقول . والله بكل شيء عليم " عليم بذات الصدور ". " عالم الغيب " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" وهكذا .....

المسالة الثانية : العلم باعتباره علما على فرع معين من العلوم

قد يطلق العلم علي فرع معين من العلوم فيقال : علم الكيمياء -علم الطبيعة- وعلم النحو وعلم الصرف . وهكذا ....

وفى هذه الحال يصبح مفهوم العلم "مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة ".

إن هذا المعنى هو المراد لنا إطلاقه في " فلسفة العلم " و "فلسفة العلوم" بعد هذا التحليل لذلك المصطلح .

المسألة الثالثة : العلم في العصر الحديث

يطلق العلم في العصر الحديث .على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى التجربة والمشاهدة والاختبار سواء كانت أساسية أو تطبيقية كما أسلفنا.

ومن المعلوم : أن أكاديمية العلوم الفرنسية التي أنشئت عام ١٦٦٦ ، هي أول من استخدم كلمة " العلم " بهذا المعنى الخاص بالعلوم الطبيعية وحدها. وسار على نهجها في إنجلترا الجمعية البريطانية لتقدم العلم "وقد أنشئت عام ١٨٣١ م .

لقد جاء هذا في كتاب " أسس الفلسفة حيث يقول صاحبه :

"يقول ميرز. إن العلماء كانوا في القرن السابع عشر والثامن عشر يطلقون "الفلسفة الطبيعية والعلوم الفلسفية على ما نسميه اليوم بالعلوم الطبيعية . وكان أول من استخدم فى إنجلترا كلمة "علم " بمعناها التجريبي الراهن هو "الجمعية البريطانية لتقدم العلم " وهى التي أنشئت عام ١٨٣١، ولا تزال تحرص في أبحاثها على استيعاب الفلسفة والعلوم النظرية المجردة الخالصة مكتفية بالعلوم الطبيعية التي تقوم على مناهج البحث التجريبي .

وفى فرنسا استخدم لفظ العلم بمعناه التجريبي الراهن قبل ذلك . إذ استخدمته " أكاديمية العلوم الفرنسية " التي نشأت عام ٦١٦٦ ، مع أن " الجمعية الملكية في لندن " قد نشأت عام

١٦٦٢ . ولكنها لم تستخدم اللفظ بمعناه الراهن الذي يجعل العلم يخالف الفلسفة موضوعا ومنهجا [١] أ.د.

رابعاً : فلسفة العلم :

على ضوء ما سبق من توضيح وتحديد لمفهوم كلمة " الفلسفة " ومفهوم كلمة "العلم " نستطيع – الآن – أن نخلص إلى مفهوم " فلسفة العلم " عندنا بأنه :البحث العقلي الحر عن العلم .

ذلك أننا حينما نتكلم عن علم من العلوم فنبحث في تاريخه ونشأته وتطوره ومنهج البحث فيه . وآثاره على الحياة والإنسان وغير ذلك من الأمور التي لا تدخل في صميم العلم ذاته بنظرياته وقوانينه . إننا حينئذ نمارس نشاطنا في فلسفة العلم .

مثال ذلك : علم الكيمياء يعنى بالبحث في خواص المادة وتفاعلاتها الكيميائية من خذل نظريات وقوانين ذلك العلم الخ....

أما فلسفة علم الكيمياء فتعنى بنشأة الكيمياء وتاريخها وتطورها ومدى إسهام الباحثين والعلماء في تقدمها ثم أثرها على البيئة والحياة والإنسان الخ .....

---

١ – أساس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ط ٧ عام ١٩٧٩ دار النهضة العربية ويراجع أيضاً " فلسفة العلوم بنظرة إسلامية للدكتور أحمد فؤاد باشا ط ١ سنة ١٩٨٤ دار المعارف بالقاهرة .

ومثال آخر من علومنا الدينية : علم العقيدة أو" علم التوحيد " أو " علم الكلام " أو"علم أصول الدين " تحت أي اسم من هذه الأسماء يعنى ذلك العلم بالبحث في جوانب العقيدة الأساسية "الإلهيات والنبوات والسمعيات " أما ما وراء ذلك من بحث في نشأة ذلك العلم وتطوره ومدارسه قديما وحديثا وبيان ، أثر العقيدة على الأخلاق ، وبناء الفرد في ذاته والمجتمع في بنائه . كل ذلك ،- تتكفل به فلسفة العلم .

خامساً : الإسلام وفلسفة العلم :

بعد أن وقفنا على مفاهيم الكلمات السابقة من حيث هي مفردات نأتي الآن إليها في حملتها باعتبارها عنوانا لهذا البحث "الإسلام وفلسفة العلم ". وأعتقد أنه من السهل علينا أن نقول : إننا نعنى بهذا العنوان "البحث العقلي الحر عن العلم من خلال رؤية إسلامية صحيحة.

وربما يستشكل على البعض هذا الذي نقول : فكيف نبحث عن العلم بحثا عقليا حراً وفى نفس الوقت يكون رهنا برؤية إسلامية. وهذا يتنافى مع حرية البحث العقلي ؟

لكننا نبادر فنقول .إن هذه الإشكالية مصدرها عدم فهم الإسلام فهما صحيحا في جانب الفكر والبحث العقلي . أما عندما نفهم ذلك فهما صحيحا- فسينكشف لنا- بيقين - أنه لا إشكالية في هذا الموضوع على الإطلاق ذلك . بأنه لا تعارض بين الإسلام والعلم والعقل وحرية الفكر وكما ذكرنا من قبل على سبيل الإشارة ومن بعد في موضوع "المعرفة في التصور

الإسلامي " على سبيل التفصيل . وفى كتبنا الأخرى مثل "مناهج البحث الخلقي في الفكر الإسلامي" و "الإسلام والفكر المادي " وكذلك "القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين " فتلك القضية تشكل – عندنا محورا هاما من محاور تفكيرنا واهتمامنا.

خلاصة الموضوع في كلمات :

إن الإسلام دين العقل الحر. وأول دين إلهي يفرض استقلالية التفكير وحرية التعبير على أتباعه فرضا– ومن ثم فهو ابن العلم . ولا إسلام بغير علم . فالعلم عندنا دين –

أما ما يقال من صراع بين الإسلام والعقل أو العقلانية أو بين الإسلام والعلم خاصة العلم الحديث فتلك صراعات ومشكلات لم تكن نبتا إسلامياً على الإطلاق بل هي نبت أوربي خالص يجسد قمة الصراع بين الدين والعلم في العصور الوسطى إبان سطوة الكنيسة الكاثوليكية . وتلك ظاهرة صحية طيبة لأن الدين المراد هنا يعنى الكهنوت المقدس باسم الدين وهو يرفض العلم والعقل كما جاء في الجزء الأول دائرة المعارف الفرنسية الكبرى بشأن مفهوم الدين حيث تقول " أن العلماء قد أحصوا مائة تعريف للدين وأنهم اسقطوا ثمانية وتسعين منها لأنها غير علمية واعتمدوا على اثنين فقط هما :

أولا: الدين هو الطريقة التي يحقق بها الإنسان صلاته مع قوى الغيب العلوية .

ثانياً : الدين ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلم ". واضح أن التعريف الأول للدين يردى به في دائرة

ضيقة بين الإنسان والقوى العلوية فحسب . ولا شان له بالحياة الإنسانية والاجتماعية الخ ..

أما التعريف الثاني فواضح-كذلك-أنه يجعل الدين أمرا لا معقولا" يرفض العلم لأنه لا تتفق معه في شئ ومن هنا كانت العلمانية [1] .

نخلص من ذلك إلى أن الإسلام لا يشكل قيدا على استقلالية الفكر وحرية التعبير. والعقل والعلم ، بأي حال من الأحوال سوى قيد واحد هو أن يكون ذلك العلم والفكر وإعمال العقل نافعا للإنسان في الدنيا والآخرة وبما يؤكد مسئولية الإنسان أمام الله والتاريخ والحياة.

بعد هذا يكون السؤال : كيف تكون فلسفة العلم برؤية إسلامية ؟

أن هذا ما تجيب عليه الفقرة التالية بتوفيق الله تعالى :

فلسفة العلم بين العلوم النظرية والعلوم الطبيعية .

لقد سبق أن أشرنا إلى أن " أكاديمية العلوم الفرنسية " التي أنشئت عام ١٦٦٦ ، هي أول من استخدم العلم بالمعنى الخاص بالعلوم الطبيعية وحدها، وسار على نهجها في إنجلترا " الجمعية البريطانية لتقدم العلم " وهذه أنشئت عام ١٨٣١م .

---

١ - هذا الموضع يراجع برمته في كتابنا الإسلام والفكر المادي ط ٢ - ١٩٨٦ . بالقاهرة .

ومن هذا الوقت أصبح : العلم في العصر الحديث يطلق على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى التجربة والمشاهدة والاختبار.سواء كانت علوما أساسية أو علوما تطبيقية. كما أن هذه العلوم الطبيعية التي هي " العلم في العصر الحديث أصبحت موضوع فلسفة العلم".

تقول الدكتورة يمنى الخولى في كتابها " فلسفة العلم في القرن العشرين " فلسفة العلم موضوعها ظاهرة العلم الحديث [١] .

يتضح هذا أكثر وأكثر عند "الوضعية المنطقية" حيث يزعمون أن العلم قد أزاح الفلسفة من الوجود ، ولم يترك لها مجالا للبحث . وهذا خطا فادح لأن الفلسفة أساس العلم بل هي أم العلوم . يقول الدكتور توفيق الطويل عن أصحاب الوضيعة والوضعية المنطقية في هذا الشأن:

" إنهم أخطأوا حين ظنوا وهما أن العلم لم يدع للفلسفة مجالا للبحث . فإن المعرفة العلمية تفتقر إلى أساس فلسفي . فالفلسفة- وليس العلم - هي التي تتناول الفروض العلمية بالبحث والتدليل ، والعقل الإنساني يتطلب علما للكل ، للمطلق ، للضروري علما بالمبادئ والعلل . بل إن العلم نفسه ليس إلا حقيقة من الحقائق التي تعالجها الفلسفة، والفلسفة- وليس العلم - هي التي تبحث في طبائع الأشياء ومبدئها ومصدرها " [٢] .

---

١ - فلسفة العلم في القرن العشرين ص ٢٣٨ ط ١ عالم المعرفة ٢٦٤ ديسمبر سنة ٢٠٠٠ .

٢ - أسس الفلسفة د / توفيق الطويل ص ٨٣ ط ٧ .

ذلك أن الفلسفة عند هؤلاء ما هي إلا منهج لتحليل لغة العلم والعلم يراد به العلوم الطبيعية التي تقوم على الملاحظة والتجربة. وبذلك تصبح تلك العلوم هي موضوع فلسفة العلم لأنها تعتمد المنهج التجريبي ويلحق بها علم النفس وعلم الاجتماع حيث يعتمدان نفس المنهج التجريبي كما يلحق بها كذلك العلوم الرياضية ولكننا نقول :أن موضوع فلسفة العلم تحدد بمفهوم ذلك العلم . على ضوء ما أسلفنا، فكما كان العلم بمفهوم العصر الحديث خاصا بالعلوم الطبيعية وحدها كان ذلك هو موضوع فلسفة العلم . ويستفيد من هذا المجال تلك العلوم الدينية والإنسانية وما يحذو حذو العلوم الطبيعية في استخدام المنهج التجريبي .

أما عندنا حيث نرى أن : - مفهوم العلم يتسم بالإطلاق والعمومية فيشمل كل العلوم الطبيعية والدينية والإنسانية . فإن العلم بهذا المعنى يصبح موضوعا لفلسفة العلم .

ذلك أن العلم - كما أشرنا من قبل - في الإسلام مطلق ينصرف إلى العلم بأوسع معانيه . وهذا ما نراه بل نعتقده ويؤيده الواقع الصحيح . ويترتب على هذا في مجال فلسفة العلوم ما نراه من إطلاقات مثل :-

فلسفة التاريخ فلسفة السياسة . فلسفة التشريع . فلسفة القانون . بل إن الجامعات أصبحت تضيف كلمة " الفلسفة " PH على الدرجة العلمية العليا التي تمنح في العلوم الطبيعية فيقال : درجة دكتوراه الفلسفة في العلوم الزراعية ، دكتوراه الفلسفة في العلوم الهندسية وهكذا.

ونخلص من ذلك كله إلي أن موضوع فلسفة العلوم ليس وقفا على العلوم الطبيعية والرياضية فحسب بل يتعداه إلى سائر العلوم بالإطلاق فيدخل في دائرة العلوم الدينية والعلوم الإنسانية أو ما يسمى بالعلوم النظرية . ومن أمثلة ذلك بالإضافة إلى ما سبق .

* البحث في مناهج التفسير والمفسرين . فذلك شئ وعلم التفسير شئ آخر.

* البحث في مناهج المحدثين وضبط السنة فذلك شئ وعلم الحديث شئ آخر.

* البحث في أصول الفقه فذلك شئ وعلم الفقه شئ آخر.

* البحث في تاريخ التشريع الإسلامي فذلك شئ والتشريع شئ آخر.

* البحث في مقاصد الشريعة فذلك شئ والشريعة شئ آخر.

وقد تعلمنا من سلفنا الصالح عند دراسة علم من العلوم أن نقوم أولا بدراسة تلك المبادئ التي تنتظمها هذه الأبيات التي تقول :

إن مبادئ كل فن عشرة
الحد والموضوع والثمرة
وفضله ونسبه والواضع
والاسم والاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض أكتفي

ومن درى الجميع حاز الشرف

هذه هي المبادئ لكل علم وهي فلسفة ذلك العلم يضاف إليها -كما أسلفنا- البحث في تطوره ومنهجه وكل ما يتعلق به من جوانب نفسية وأخلاقية واجتماعية الخ . والبحث في كل هذه الأمور ليس بحثا في العلم ذاته بل هو بحث حول ذلك العلم ، وكما يقول الدكتور صلاح قنصوه :

فلسفة العلم ليست ممارسة للعلم ، بل هي حديث فلسفي عن العلم أي أنها لا تقدم ممارسة علمية" بل تتفلسف حول تلك المعارف وحول منهجها " (١) .

ويقول الدكتور أحمد فؤاد باشا :

" تطلق فلسفة العلوم عادة على بحث جديد أضافه المحدثون إلى مباحث التفكير الفلسفي والعلمي على حد سواء، ليشمل البحث في تحليل لغة العلوم المختلفة واستخلاص ما يساعدنا على تكوين نظرة شاملة إلى الكون من خلال الربط بين سلوك الظواهر التي يتعامل معها الإنسان .

" والعلوم المعنية في هذا المبحث هي في الأساس العلوم الطبيعية والرياضية لأنها تتناول الظواهر الجزئية في الطبيعة الحية والجامدة، وتدريسها بمناهج الملاحظة والتجربة والاستنباط لتضع لها قوانين تفسرها تفسيرا علميا أو منطقيا، والعلوم

---

١ - فلسفة العلم ، ص ٣٧ ط مكتبة الأسرة .

الإنسانية أو الاجتماعية التي تتناول أحوال الإنسان منفردا أو مجتمعا بغيره ، فإنها عادة لا تندرج تحت العلوم التجريبية والاستنباطية إلا إذا استخدمت نفس مناهجها العلمية " [1] أ.د

تعدد فلسفة العلوم :

يتضح مما سبق أن فلسفة العلم ليست خاصة بعلم بذاته بل من الممكن أن تطلق على العلم بإطلاق فتسمى فلسفة العلم أو فلسفة العلوم ومن الممكن أن تنصرف إلى علم بعينه مثل فلسفة علم الكيمياء، فلسفة علم الفيزياء، وعندنا نقول فلسفة علم الأدب، فلسفة علم النحو، فلسفة علم التفسير، وفلسفة القانون وفلسفة التاريخ الخ . وحينئذ تتعدد فلسفة العلم بتعدد العلوم المضافة إليها.

إن هذا الذي نراه في أن فلسفة العلوم تشمل العلوم الإنسانية والاجتماعية تختلف عما تراه المدرسة الوضعية والوضعية المنطقية التي تقصر هذه الفلسفة على العلوم الطبيعية وحدها الخ

يضاف إلي هذا أن تاريخ العلم مبحث من مباحث فلسفة العلم – كما سيأتي – وهذا التاريخ ليس وفقاً على علم بعينه بل كل علم له تاريخه ونشأته وتصوره .

ومن هذا الباب تدخل العلوم الاجتماعية والإنسانية الخ في ميدان فلسفة العلم من أوسع الأبواب أيضاً .

---

١ – فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ص ٦٣ .

فلسفة العلم بين المنطق والفلسفة

إننا نتفق مع جمهرة الباحثين في أن فلسفة العلم فرع جديد من الفلسفة المعاصرة . غير أن هناك من يراها جزءاً من المنطق أو شكلا من أشكاله . يقول بول موى في كتابه "المنطق وفلسفة العلوم " يطلق اسم فلسفة العلوم على شكل من أشكال المنطق ، يطبق التحليل النقدي الواعي على العلم " (١) .

ويرى الدكتور توفيق الطويل : أنها بحث جديد أضيف إلى المنطق،وهذا لا يختلف عن سابقه إنه يقول " أما عن فلسفة العلوم فتطلق عادة على مبحث جديد أضافه المحدثون من المناطقة إلى مباحث المنطق المألوفة عند القدماء، وهو طرائق أو مناهج البحث العلمي،وإن كانت فلسفة العلوم أعم من بحث المناهج لأنها تشمل علم المناهج الذي يضم منهجي الاستقراء والاستنباط وتطورهما عبر التاريخ ، ودراسة الملاحظة والتجربة والإستدلال الصوري،ونحو ذلك من عناصر المنهجية، كما تشمل فلسفة العلوم البحث في النظريات والفتوحات العلمية، واستخلاص ما يساعدنا على تكوين نظرة شاملة إلى الكون"(٢)أ.هـ

والذي نراه بعد كل هذا هو ما قلناه أولا من أن فلسفة العلم أو فلسفة العلوم ليست شكلا من أشكال المنطق ولا جزءاً منه ولا

---

١ – المنطق وفلسفة العلوم ، تأليف بول موي ترجمة د / فؤاد زكريا ص ٤٨ مكتبة دار العروبة لنشر والتوزيع سنة ١٩٨١ .

٢ – أسس الفلسفة ، ص ١٣٧ .